التطور الدلاليّ لألفاظ القرآن الكريم

م.م. ابتسام عبد الأمير جبَّار جامعة الشعب/ كليّة العلوم الإداريّة والماليّة

الملخّص:

مـن المسـلّمات المعرفيّـة فـي علـم الدّلالـةِ (Semantics) أَنَّ دِلالاتِ الألفـاظِ يعتَورُهـا، لا مَحَالـةَ، التغييـرُ أو التَّطـورُ الـدَّلاليّ حَتَّـى أمْسَـت هَـذِه الظاهرةُ وَاقعًا ملموسًا فِي جَمِيعِ اللغَاتِ المَحْكِيَّةِ فِي العالَمِ وَلَيْسَت العَرَبِيَّةُ، بعد ذَلِكَ، بِدْعًا فِي حُدوث التطورِ الدلاليّ فِي أَلفَاظِهَا، وَإِزَاء ذَلِكَ حَاولَ البَاحِثُونَ المَعنِيُّونِ بِدِراسةِ اللغةِ العَرَبِيَّةِ، لا سِيَّمَا المُتَخَصِّصُونَ مِنهم فِي عِلم الدَلالَـةِ، توضـيحَ أسـبَابِ هَـذَا التَّطـوُّرِ بِـأَنْ يُحَـدِّدوا مَعَالِمَـهُ، وَيُفسِّـرُوا عِلَلَـهُ، وَيُقِرُّونَ بَعَدَ ذلكَ قَوانينه التي تحكمُهُ.

وَلاريـبَ أَنَّ هَـذا يحتـاجُ إِلـى جهـودٍ جماعيَّـةٍ كبيـرة تضـطلعُ بهـذه المهمَّـةُ الشَّـاقَّةُ الّتـي تتطلَّـبُ مُتابعـةً دقيقـةً لسـيرورة حركـة ألفـاظ العربيَّـةِ فِـي أزمنـة استعمالها المتعاقبةِ وَرصد المُتَغِيَّراتِ الدلاليَّة التي تكتنفها اتّساعًا وتضييقًا، وارتقـاءً وانحطاطًـا، وغيـر ذلـك مـن ظـواهر التطـوّر الـدّلاليّ المعروفـة فِـي مَجالِهَا.

فانطوت ورقتي وفقا لمطالبها المنهجيَّة والعلميَّة إلى معالجة البناء النَّظرِيّ من جهة ومن جهة أخرى معالجة العيّنات اللغوية مظنَّة التطوّر الدّلاليّ وَقدْ

سعيتُ ما أسعفتني قدرتي لمعالجتها من منظورٍ شَاملٍ بحسب معرفتي المتواضعة.

الكلمات المفتاحيَّة: (التظوّر الدلالي، القرآن الكريم، الألفاظ).

Semantic Evolution of the Lexemes of the Noble Quran

Ibtisam Abd al-Amīr Jabbar

University of the People, College of Administrative and Financial Sciences

Abstract:

A foundational axiom in semantic theory (Semantics) posits that lexical meanings inevitably undergo diachronic transformation or semantic evolution. This phenomenon is empirically observable across all spoken languages globally, and Arabic is no exception to the universality of semantic change. Scholars specializing in Arabic linguistics, particularly lexical semantics, have sought to outline the delineations of this evolution, explain its etiological foundations, and codify the principles governing its mechanisms.

Such scholarly investigation necessitates intensive, large-scale efforts to accurately trace the route of Arabic lexemes across successive historical periods, documenting semantic shifts, whether through expansion, narrowing, elevation, pejoration, or other recognized modalities of diachronic change.

The study adopts a dual analytical framework: first, interviewing theoretical constructions of semantic change, and second, critically analyzing linguistic varieties manifesting diachronic shifts. This work synthesizes comprehensive perspectives, although constrained by the limits of my hamble scholarly capacity.

Keywords Translation:

Semantic Evolution - Noble Quran - Lexemes

التطور لغة:

جاء في لسان العرب: الطور: التارة، تقول: "طورا بعد طور" أي تارة بعد تارة وجمع طور أطوار، والناس أطوار أي أخياف على حالات شتى، والطور: الحال (ابن منظور، 1968: 7/ 9).

أمّا مفهوم التطور الدلالي:

فهو تغيير معاني الكلمات (مبارك، 1972، ينظر: 207) وهو التغير الذي يحدث في المفردات أو التراكيب وهذا التغير يؤدي إلى حدوث دلالات جديدة وخلع القديمة والبحث في أسبابه ونتائجه ومظاهره (مبارك، 1972، ينظر: 208).

إنّ ظاهرة التطور هي ظاهرة عامة تشترك بها كل اللغات الإنسانية؛ لأنّ اللغة ظاهرة اجتماعية تخضع لما تخضع له الظواهر الاجتماعية من عوامل التطور في مختلف عناصرها أي: أصواتها وتراكيبها ودلالاتها فهي مرنة وليست جامدة فاللغة كائن حتى تنمو وتتغير وتتطور (أنيس، 1980: 122).

بيَّنّ الدكتور رمضان عبد التواب أنَّ لفظة تطور قد لا تعني الحديث عن وضع أفضل من قبل بل قد يكون على العكس من ذلك، فقد نجد ابتذال أو انحطاط للفظة وأنَّ الغربيين المحدثين يستعملون كلمة (التطور) ولا تعني عندهم أكثر من مرادف لكلمة (التغيير) (عبد التواب، 1990، ينظر: 140).

أسباب التطور الدلالي:-

بيَّنَ أولمان عدة عوامل أسهمت في تغيير المعنى من حالة إلى أخرى، إلا أنّ هناك ثلاثة أسباب رئيسة لتغير المعنى هي: اللغوية، والتاريخية، والاجتماعية ولكنها مع ذلك ليست جامعة لهذه الاسباب (عمر، 1988: 237).

- أهم الأسباب التي أدّت إلى تغير المعنى:

1- ظهور الحاجة:

فقد يلجأ أبناء اللغة إلى إحياء الألفاظ القديمة ويطلقونها على مستحدثاتهم، فقال إبراهيم أنيس: "وهكذا وجدنا أنفسنا أمام ذلك الموج الزاخر من الألفاظ القديمة الصورة الجديدة الدلالة (أنيس، 1980: 161)". فهذا عامل مقصود ويتمثل يعمل المجامع اللغوية والهيئات العلمية بوضع مصطلحات جديدة أو إضفاء دلالات جديدة على ألفاظ قديمة لمجارات التطور في مختلف مجالات الحياة (أنيس، 1980: 161).

2- العامل الاجتماعي والثقافي:

يتمّ الانتقال من الدلالة الحسية إلى الدلالة التجريدية ويتمّ ذلك بصورة تدريجية ثم قد تنزوي الدلالة المحسوسة وقد تندثر وقد تظل مستعملة جنب إلى جنب مع الدلالة التجريدية، ويرى (عبد الواحد وافي) أنّ العوامل الاجتماعية خالصة تتمثل في حضارة الأمم ونظامها وعاداتها وتقاليدها ومظاهر نشاطها العلمي (وافي، ينظر: 8).

فكما تقدمت الأمم وازداد رقيها وتنوعت مظاهر الحياة الاجتماعية والفكرية والاقتصادية والثقافية ويظهر ذلك في المفردات الجديدة عن طريق

الاقتباس والاشتقاق لأنّ الاستعمالات اللغوية تتسع وتسع المصطلحات الجديدة (أمينة، 2016، ينظر: 11).

3- العامل النفسي:

من العوامل المهمة في تطوير دلالات اللغة.

تعدل اللغة عن استعمال بعض الكلمات ذات الدلالات المكروهة وهو ما يعرف باللامساس، فيؤدي اللامساس إلى ابدال الكلمة الحادة بكلمة أقل حدة وأكثر قبولا. وهذا التلطف هو السبب في تغير المعنى (عمر، 1988: 240). وقد تستعمل أحياناً مفردات لها مدلول نفسي على المتلقي: فتقول للأعمى: (البصير)، وتقول للملدوغ: (السليم) تفاؤلا في الشفاء.

4- الانحراف اللغوي:

قد ينحرف مستعمل الكلمة بالكلمة عن معناها إلى معنى قريب فيعد من باب المجاز، وقد يكون الانحراف نتيجة لسوء الفهم أو الغموض أو الالتباس. فيحدث سوء الفهم حين يخمن معنى اللفظة الوارد ذكرها أول مرة، وعند تكرار هذا التحسين أو الانحراف للفظة من أكثر من شخص فقد يؤدي إلى تطور اللفظة ومن ثمّ اعتماده (أمينة، 2016: ينظر: 12).

ومن الأمثلة البارزة للانحراف اللغوي (الأطفال)، إذ يقول الدكتور إبراهيم أنيس: "فالكنبة عند بعضهم سرير والمكتبة عند الآخرين دولاب، والمكتب ترابيزة... ويخلط الطفل كذلك بين أنواع الطيور فالحمامة عصفور والحدأة غراب" (أنيس، 1980: 92)، (عمر، 1988: 241). فضلا عن خلطه بين ألفاظ الألوان، والألفاظ ذات النطق المتشابه وغيرها (عمر، 1988: 241).

5- الانتقال المجازي:

إنَّ الاستعمال المجازي لكثير من الكلمات ينقلها إلى دلالات جديدة فإنّ الكلمة تتغير قيمتها الدلالية عندما تستعمل بصورة مجازية وتتحول من مجال إلى آخر، وقد يحدث بمرور الوقت أن يشيع الاستعمال المجازي فيصبح للفظ معنيان. وقد يشيع المعنى المجازي على حساب المعنى الحقيقي، ويقضي عليه من ذلك: (يشرب سيجارة، ضحكة صفراء، قلبه أبيض، ركب رأسه...) (عمر، 1988: 258).

6- الابتداع

هناك أسباب أخرى تدل على التطور الدلالي كالبواعث الابداعية، والمجازات الفنية لغرض الاتساع والتفنن في التعبير وهو ما برع فيه الأدباء والشعراء والبلاغيون:

"ذلك أنّ الفكرة التي يطالع بها المبدع قارئه أو الانفعال الذي تتكون منه القصيدة تحتاجان إلى هيئة فنية خالصة تتسع من المادة اللغوية ذاتها، بإيقاعها وموسيقاها وبحيوية فاعلة تجعل اللغة تتسع لتجربة فيها الصورة المجارية والاستعارية" (الصالح، 2003: 69).

لذا، فهناك كثير من الاسباب والعوامل التي أدّت إلى تطور الدلالة في كل اللغات الإنسانية؛ لأنّ لغات البشر على اختلافها تخضع لقوانين عامة في التغير والتطور كالحاجة إلى كلمة جديدة تعبر عن معنى جديد والتطور الاجتماعي والثقافي للمجتمعات الإنسانية والتطور الذي يحدث في اللغة نفسها من ناحية الصيغ والتراكيب والأساليب.

مظاهر التطور الدلالي:

1- الاتّسَاعُ الدَّلاليُّ: Semantic Extension

هو مفهوم دلاليّ مهمّ من مفاهيم التَّطور الدلاليّ في اللغات، ويعرّفه البروفيسور ديفيد كرستل بِأَنَّه: "مُصطلح في الفلسفة والمنطق، ويُستعملُ الآن غالبًا على أنَّه جزءٌ من إطارٍ نظريّ في علم الدَّلالةِ اللسانيّ، يُشير إلى كِيانٍ أو صنفٍ من الكِياناتِ التي تُطَبَّقُ فيها الكلمةُ عَلى نحوٍ صحيحٍ. وَمنْ أمثِلَة الاتساعِ، أو المعنى المُتَّسع: مُصطلح وردة يُشير إلى مَجموعِ كُلِّ الوَردِ." (David: 181).

وفي تاريخ اللسانيّات، يستعمل في تصنيف أنواع من التغيّر الدلاليّ، يُشيرُ إلى اتساع المعنى في أيّ عنصرٍ مُعجميٍّ، وعلى الضِّدِّ منه مُصطلحِ التّضييقِ Narrowing (David :181).

وَمن مَصَاديق هذا المفهوم فِي القرآن الكريم على سبيل التدليلِ لفظة: فرعون:

كَلِمَةٌ حَامِيَّةٌ تَدلُّ فِي الأَصلِ عَلَى (لَقَبِ) مُلُوكِ مِصرَ القَدِيمَة، الَّذِينَ اعتُبِرُوا آلِهَةً، وَأَصلُهُ مِنَ الكَلِمَةِ المِصرِيَّة (بارعا) الَّتِي مَعنَاهَا: (بَيتٌ كَبِيرٌ) (Brown،829: 1906) (الكعبي، ينظر: 193)، استُخدِمَتِ الكَلِمَةُ - أَوَّلَ الأَمرِ - لِوَصفِ قَصرِ المَلِكِ، وَعَلَى مَرِّ السِّنِينَ تَغَيَّرَ مَعنَاهَا لِوَصفِ المَلِكِ نَفسِهِ، وَالمرَّةُ الأُولَى الَّتِي استُعمل فِيهَا تَعبِيرُ (فِرعَونَ) للإِشَارَةِ إلى مَلِكِ مِصرَ كَانَت حِقبَةُ تحوتمس الثَّالِثِ الَّذِي حَكَمَ فِي حِقبَةِ السُّلَالَةِ الثَّامِنة عَشرَ (1292-1539 ق.م) وَمن ذَلِكَ الوَقتِ بَدَأَ هَذَا اللَّقَبُ يُطلَقُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِن مُلُوكِ هذِهِ السُّلَالَةِ (See: http: he. Wikipedia. Orgl wikil).

وَمن الإِشاراتِ القُرآنِيَّة المُهِمَّةِ لبيان صِحَّة نسبة هذا المَعنى إلى اللغة الحاميَّة أَنَّ القُرآنَ الكَرِيْمَ ذَكَرَ كَلِمَةَ (فِرعَونَ) لَقبًا لمَلِكِ مِصرَ فِي زَمَنِ مُوسَى لأَنَّهُ حَامِيٌّ، وَهَذَا اللَّقَبُ مِن خَصَائِصِ لُغَتِهِم وَثَقَافَتِهِم، وَلَمْ يَذْكرْهُ مَعَ مَلِكِ مِصرَ السُّفلَى فِي زَمَنِ يُوسُفَ؛ لِأَنَّه مِنَ العُنصُرِ السَّامِيّ، فَلُغَتُهُ لَا تَعرِفُ مِثلَ هَذَا اللَّقَبِ البَتَّةَ (الكعبي، ينظر: 196).

فَقَالَ تَعَالَى مَعَ الأَوَّلِ عَلَى سبِيْلِ التَّمثِيل: ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ﴾ البقرة: 49 فَذَكَرَهُ بِلَقَبِ فرعون؛ لأَنَّه كَانَ حَامِيًّا.

فِي حين قَالَ تَعَالَى مَعَ الثَّانِي: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ﴾ يُوسُفُ: 43. وَكَذَا الآيَةُ 50، وَالآيَةُ 72. وَذكره بِلَقَبِ المَلِكِ؛ لأَنَّهُ كَانَ سَامِيًّا.

وَمن المُفِيْدِ الإِشَارَةُ هُنَا إلى أَنَّ القُرآنِ الكَرِيم استعمل كَلمة (فرعون) بِهذِهِ الدلالة، أَي: لقب لملوك مصر الحاميِّينَ، لَكنَّها تطَوَّرت دلالتُها فِي العربيَّة بعدَ ذَلكَ لتصبح دالَّةً عَلى التَّجَبُّرِ وَالطُّغيَانِ وَالتَّعَالِي، بِمعنى أَنَّ كُلَّ طاغيةٍ متجبَّر هو فرعون وليس فقط فرعون موسى الذي ورد لفظه في القرآن الكريم.

جَاء فِي لسان العَرَبِ عَنْ كَلِمَة فِرعَونَ: مَأْخُوذٌ مِنَ الفَرعَنَةِ: وَيُرَادُ بِهَا التَّجَبُّر وَالكِبْرُ، وَيَنقُلُ عَنِ الجَوْهَرِيّ: وَكُلُّ عَاتٍ فِرْعَوْنٌ، والعُتاةُ: الْفَرَاعِنَةُ. وَقَد تَفَرعَنَ وَهُوَ ذُو فَرعَنَةٍ، أَي: دَهاء وتَكَبُّر (ابن منظور، 1968، ينظر: 3018/3).

وَلَعَلَّ السَّبب في ذَلِكَ هُو ارتبَاطُ اسمِ فِرعَونَ بِالظُّلمِ وَالطُّغيَانِ عِندَ الإِسرَائِيلِيِّينَ نَتِيجَةَ أَفعَالِهِ مَعَهُم وَسُوءِ مُعَامَلَتِهِ لَهُم؛ لِذَلِكَ عِندَمَا أَدخَلَ الإِسرَائِيلِيُّونَ هَذَا الاسمَ إلى اللُّغَةِ السَامِيَّةِ حَمَلَ مَعَهُ هَذَا المَعنَى؛ لِذَلِكَ نَجِدُ أَهلَ المُعجَمَاتِ يربطونهُ بهذَا المَعْنَى (الكعبي: 172).

وَبهذا يتضح التَّطور الدَّلاليّ باتساع معنى كلمة فرعون في العربيَّة من الاستعمال القرآني لها لقبا لملوك مصر الحاميين إلى الاستعمال اللغويّ لها في لسانِ العَرَبِ بَعد ذلك للدلالة على كل الملوك والحكام الطُّغاة والجبابرة؛ لذلك اشتقوا منها فعلا هو (تفرعنَ) فيُقالُ لكل من طغى وتجبَّر: تفرعن ويتفرعنُ، وتؤكِّد هذا الاتساعَ الدَّليّ المعجماتُ العربيَّةُ.

Semantic Narrowing-1

هو، أيضًا، مفهوم دلاليّ مهمّ من مفاهيم التَّطور الدلاليّ في اللغات، ويعرّفه دامودر ثاكور بأَنَّهُ: "نقيض الاتساع وذلِك في حالِ تُصبح مساحة معنى الكلمة أصغر ممَّا كانت عليه من قبلُ. فَفِي يومٍ من الأيَّامِ كانت كلمةُ (Accident)، على سبيل المثال، تَدُلُّ على حَدَثٍ مفاجئ، أَي: لأَيِّ شيءٍ يَحدُثُ فجأةً، أَمَّا فِي أَيَّامِنَا الحَالِيَّة فَإِنَّ هذِه الكَلِمَةَ تُسْتَعْمَلُ عمُومًا للحَادِثِ المُفَاجِئ غير السَّارِ أو غَير المَرغوب بهِ.." (Damodar،112).

وَمن مَصَاديق هذا المفهوم فِي القرآن الكريم على سبيل التدليلِ لفظة:

الحَيَوَان:

مَن المَعْلُومِ أَنَّ لَفْظَةَ الحَيَوان في العَرَبِيَّةِ هي اسمُ جِنسٍ يَدُلُّ على مُطْلَقِ الحَيَاةِ، جَاء في لسان العرب: "والحيوان: اسمٌ يقع على كُلِّ شيءٍ حَيّ، وسَمَّى اللهُ بِهِ الآخرةَ حَيوَنًا فَقَال: (وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِي الحَيَوانُ) العنكبوت: 64" (ابن منظور، 1968: 1013/1، مَادة (حيا)).

وَيَقُولُ الرَّاغِب (ت503هـ) الأصفهانيُّ فِي معنى الحيوان فِي الآية المُباركَةِ: "وَقد نبَّه بقولهِ: (لهي الحيوانُ) إنّ الحيوان الحقيقيّ السَّرمَدِيّ الذي لا يفنى لا ما يبقى مدّةً ثمَّ يفنى، وَقال بعضُ أهل اللغة: الحيوان والحياة واحدٌ، وقيل: الحيوان ما فيه الحياة، والمَوَتَان ما ليسَ فيه الحياة" (الأصفهاني، 2008: 156).

وَقَدْ تغيَّرَت دلالةُ هذه المفردَةِ في العربيَّة بعد الاستعمال العامّ لها في القرآن الكَرِيْمِ لتُصبح دلالتها أضيق من السَّابِقِ بِأنْ تَكُونَ دَالَّةً عَلَى الحَيوانَات العجماوات فَقَطْ، ولا تُطلَقُ على غيرها في الاستعمال اللغويّ، وَرُبَّمَا بَدَأ هذَا التَّخصِيْصُ الدَّلالِيُّ مُنذُ زَمَنٍ ليسَ بالقِليل من تَاريخ العربيَّة، وَمن آياتِ ذَلكَ ما تناولهُ المَنَاطِقَةُ فِي تضَاعِيْفِ كتُبِهِم وهم يُفرّقون بين ثَلاثَةِ مُصطَلَحاتٍ هِي (المظفَّر، 2009، ينظر: 60، 61، 62، 63):

1- الجِنْسُ.
2- الفَصْلُ.
3- النُّوعُ.

فَالحيَوَانُ: هو الجِنسُ العَامُّ لِكُلِّ ذِي حَياةٍ. والحَيَوانُ النَّاطِقُ: فَصْلٌ وَيُرَادُ بِهِ الإنسان، والحيوانُ الصَّاهِلُ: فصلٌ يُرادُ بِهِ الفَرَسُ. ومُحَمَّدٌ وَزَيْدٌ: نَوْعٌ.

فَهم في صنيعهم هذا يُضِيّقون المعنَى بعد أن كَانَ عَامًّا.

وَما زِلْنَا نَرْصُدُ تطوّرًا دَلالِيًّا للفظَةِ الحَيَوَانِ بِتَضييقِ دَلَالَتِهَا فِي لَهْجَةِ أَهْل مُحَافَظَةِ النّجفِ الأَشرفِ اليومَ، حُيثُ يُطلِقُونَ عَلى الطِّفْلِ الصَّغَير فقط لفظَ حيوان ممَّا يَشي بتَضييقِ دَلالَةِ هذه اللفظة.

2- ارتقاءُ الدلالةِ Intensification of Semantics

هو، أيضًا، مفهوم دلاليّ مهمّ من مفاهيم التَّطور الدلاليّ في اللغات، ويعرّفه دامودر ثاكور بأنَّهُ: "إذا تكتسب الكلمة دلالات مرضيَّة معيّنة لم تَكُن

قَد اكتسبتها من قبلُ فَإنَّ هذا التَّغيُّر الدلاليّ فِي مَعنى الكلمة يُعرف بالارتقاء الدلاليّ..، ففِي اللغة الإغريقيَّة كلمة (Angel) تَعني معنى رسول، وَبسَبب تأثير المسيحيَّة ارتقى مَعْناها من مَعنى (رسول) إلى مَعنى (رسول الإله)" (Damodar: 113- 114).

وَمن مَصَاديق هذا المفهوم فِي القرآن الكريم على سبيل التدليلِ لفظة: (فخور).

يَقولُ الرَّاغِبُ الأَصفهانِيُّ: "والفَخرُ: المُبَاهَاةُ فِي الأَشياء الخارجة عن الإنسان كالمالِ والجاهِ، وَيُقَالُ لهُ الفَخرُ، وَرَجُلٌ فاخِرٌ وَفَخُورٌ وَفَخيرٌ عَلَى التَّكثيرِ، قَالَ اللهُ تعالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ لقمان: 18" (الأصفهاني، 2008: 418 و419).

فَفَخور في الآية صيغة مبالغة من فَخرَ، وَهي صفة مذمومةٌ في الاستعمال القرآني بحسب الآية المذكورة إِلَّا أَنَّنا نستعملها اليومَ بدلالة مُغايرة عن الدلالة الأولى إِذ ترد فِي عربيَّتنا بمَعنى مرتقٍ عن معناها الأوَّلِ بِمَعنَى الرِّضا الحَال مَا أكسبها معنًى متطوّرًا ساميًا جَعَلَها في دائرة الرُّقِيّ الدّلاليّ.

3-انحطاط الدَّلالةِ Degeneration of Semantics

هو، أيضًا، مفهوم دلاليّ مهمّ من مفاهيم التَّطور الدلاليّ في اللغات، ويعرّفه دامودر ثاكور بأنَّهُ: "إذا تكتسب الكلمة مع مرورِ الوقت معْنًى سيّئا، فإنَّ تغيُّر مَعنَى الكلمةِ هَذا يُدعَى بالانْحطاطِ.. فِي الإنجليزيَّة القدِيْمة كَانَتْ تَعْنِي كلمة (Crafty) معنى ماهر بيد أَنَّها في غضون القُرون القليلة الأخيرة كَان قَد تَغيَّر معناها جَذريًا وَفي الأيَام الحَاليَّة تُستعملُ هذه الكلمةُ للتَّعبيرِ عن النَّاسِ المَاكرين." (Damodar :115).

وَمن مَصَاديق هذا المفهوم فِي القرآن الكريم على سبيل التدليلِ لفظة: مريم

ويَـذهَبُ البَاحِـثُ رَؤُوف أَبُـو سـعدَة إلـى أَنَّ (مَـريَمَ) اسـمٌ آرَامِـيٌّ مَزجِـيٌّ مُرَخَّمٌ، أَصلُهُ (ماري + أما)، المَقطَعُ الأَوَّلُ بِالآرَامِيَّةِ يَعنِي (الرَّبَّ)، وَالمَقطَعُ الثَّانِي يَعنِي بِالآرَامِيَّةِ مَعنَى (الأَمَةِ) وَمَعنَاهُ نِفسُهُ فِي العَرَبِيَّةِ، وَبِهَـذَا يَكُـونُ مَعنَى اسـمِ (مَـريَمَ) هُـوَ (أَمَـةُ الـرَّبِّ) قُـدِّمَ فِيـهِ المُضَـافُ إِليـهِ عَلَـى المُضَـافِ؛ تَعظِيمًا لاسمِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (ينظر: أبو سعدة).

وَيَذكُرُ بَعدَ ذَلِكَ أَنَّ اللُّغَة الآرَامِيَّةَ خَصَّصَتْ لَفظَ (ماري) المَختُومَ بِالياءِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، بِمَعنَى الـرَّبِّ، لَا تُقَـالُ فِي غَيـرِهِ، وَأُفـرِدَت (مـار) مِـن دُونِ يَـاءٍ لِلسَّـادَةِ مِـنَ البَشَـرِ، وَمِـن هَـذَا (مـار مـرقس): يَعنِـي السَّـيِّدَ مـرقس (115: Damodar).

ويَقـربُ مـن هـذا مَـا ذكـرَهُ الخَفـاجِيُّ قَـائلًا: "قَـالَ التَّلِمسَـانِيُّ: لَـم يَـذكُرِ اللهُ امرَأَةً فِي القُرآنِ بِاسمِهَا إِلَّا مَريَمَ، ذَكَرَهَـا فِي نَحوِ ثَلاثِينَ مَوضِعًا. وَالحِكمَةُ فِيهِ: إِنَّ المُلُوك وَالأَشرَافَ لَا يَذكُرُونَ حَرَائِرَ زَوجَاتِهِم بِأَسمَائِهِنَّ، بَلْ يُكنُّونَ عَنهُم بِالأَهلِ وَالعِيالِ وَنَحوِهُ، فَإِذَا ذَكَرُوا الإِمَاءَ لَـمْ يُكَنُّوا، وَلَـمْ يَحتَشِـمُوا عَـنِ التَّصرِيحِ؛ فَلِذَا صَرَّحَ بِاسمِهَا إِشَارَةً إِلى أَنَّهَا أَمَةٌ مِن إِمَاءِ اللهِ، وَابنَهَا عَبدٌ مِن عَبِيدِ اللهِ، رَدًّا عَلَى اليهُودِ الَّذِينَ قَالُوا فِي عِيسَى عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَمَريَمَ مَا قَالُوهُ.." (الخفاجي).

وَبِفِعْلِ تَأْثِيرِ الدِّيَانَةِ المسيحِيَّة الذي ما يَزالُ أَثرهُ مَاثِلًا إلى الآن بِأَنَّ مَريَم هي صَاحِبَةُ الرَّبِّ تَعالى الله عمَّا يَصِفونَ عُلُوًّا كَبيرًا.

وَمَعلومٌ إِنَّ فِي هَذا تغيّرًا دَلاليًّا يؤشّرُ انحطاطًا فِي الدَّلالَةِ مِن حَيثُ عَقِيدةُ التَّوحِيدِ فِي الدِّيانات الإبراهيميَّة عمومًا والإسلام عَلى وجهِ الخصوصِ.

وَرُبَّمَا تعتمِدُ على اشتقاقٍ آخر لاسم مريم بَدَلًا من الاشْتقاقِ الأَوَّلِ، فَقَدْ ذُكرَ اشتِقاقٌ آخر له كما ينقل الدكتور خالد اسماعيل عَنْ جِيفرِي: "إنَّ الاسمَ دَخَلَ العَرَبيَّةَ عَلَى الأَغلَبِ مِن المَصَادِرِ المَسِيحِيَّةِ، أَي: السِّريَانِيَّةِ، فَإِذَا لَمْ تَكُنْ المِيمُ أَصلِيَّةً فَالاسمُ مُشتَقٌّ مِن ريم: فَضُلَ، زَادَ، وَمَريَمَ، الاسمُ قَد يَكُونُ مِن هَذَا الأَصلِ: ذَاتُ الفَضَلِ، أو مَكَانُ الفَضلِ" (علي، 2004: 495).

الخاتمة

- التطور الدلالي هو من المواضيع المهمة التي تتعرض لها اللغة ليست على مستوى الدلالة فحسب، بل الأصوات والتراكيب وغيرها؛ لأنّ اللغة مرنة وليست جامدة لم تتقيد بقيود صارمة بل تنمو وتتطور وتزدهر وتضمحل إلى غير ذلك فكل ذلك يؤثر على الفاظها ومعانيها وتراكيبها.

- هناك عدة عوامل أسهمت في التطور الدلالي وتعود أغلبها إلى عوامل نفسية واجتماعية والانحراف اللغوي والابتداع والانتقال المجاري فضلًا عن الحاجة إلى اضفاء دلالات جديدة على الألفاظ القديمة لمجارات التطور في مختلف مجالات الحياة.

- بيّن الدكتور رمضان عبد التواب أنّ (التطور) لا يعني الحديث عن وضع أفضل من قبل بل إنَّ اللغويين المحدثين يستعملون كلمة التطور، وهي عندهم مرادفة للتغيير.

- أكثر الدراسات التي تضمنت موضوع التطور الدلالي تناولته من عصر ما قبل الاسلام وحتى نزول القرآن، وهذا البحث تضمن الألفاظ التي تطورت دلالتها منذ نزول القرآن وما بعده ولم أجد دراسة تناولت هكذا موضوع.

- إنّ التطور الدلالي للألفاظ لا يكون على صورة واحدة بل قد تتسع الدلالة، أو تضيق أو تنحط الدلالة ويصيبها الابتذال أو ترقى وتسمو فتنتقل دلالتها من معنى إلى آخر، تسهم في مجارات التطور مع الحياة ووجدنا في ذلك عدة ألفاظ وهي: (فرعون، فخور، الحيوان، مريم) وتفصلت في الحديث عنها بما يلائم مظاهر الدلالة فيها.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ابن المنظور، أبو الفضل جمال بن محمد. لسان العرب. دار صادر. بيروت 1968.

- أبو سعدة، محمود رؤوف. من إعجاز القرآن (العلم الأعجمي في القرآن مفسراً بالقرآن). دار الهلال. (د. ت)

- أنيس، إبراهيم. دلالة الألفاظ.. مكتبة انجلو. ط 4. مصر. 1980.

- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين. معجم ألفاظ مفردات القرآن.. المحقق: شمس الدين. دار الكتب العلمية. ط3. لبنان. 2008.

- الخفاجي، أحمد محمد. نسيم الرياض في شرح القاضي عياض. دار الكتاب العربي. لبنان.

- عبد التواب، رمضان. التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه. ط 2. القاهرة. 1990.

- علي، خالد إسماعيل. القاموس المقارن الالفاظ القرآن الكريم - دار الكاتب العربي. بغداد. 2004.

- عمر، أحمد مختار. علم الدلالة. عالم الكتب. ط5 القاهرة. 1988.

- الكعبي، محمد عبد مشكور. في الساميات واللسانيات المقارنة. ط 1. دار قناديل. بغداد.

- مبارك، محمد. فقه اللغة وخصائص العربية. دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية. دار الفكر. ط5. بيروت. 1972.

- المظفر، محمد رضا. المنطق. مؤسسة الرافد. ط 1.2009.

- وافي، علي عبد الواحد. اللغة والمجتمع. دار النهضة. مصر. (د.ت). (د.ت).

المجلات والدوريات

- الصالح، حسين حامد. التطور الدلالي في ضوء علم اللغة الحديث. مجلة الدراسات الاجتماعية. العدد الخامس عشر. يونيو - يناير. 2003.

الرسائل والاطاريح

- أمينة، بوهدة خيرة. التطور الدلالي في لغة القرآن الكريم (سوره الكهف نموذجا) رسالة ماجستير. جزائر. 2016.

المصادر الاجنبية

1- David, Crystil, A Dictionary of Linguistics and Phonetics, Black Well Publishing, Six edition.

2- F. Brown, S. R. Driver and C. A. Briggs, A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament, Oxford, 1906.

3- Damodar, Thakur, Linguistics Simplified Semantics, BharatiBhawan Publishers& Distributors.